مشاهد القيامة

أولا- البعث والنشور

بعد نفخة الصعق وموت كل حي على وجه الأرض وإذا أراد الله بعث خلقه أحيا إسرافيل وأمره بأن ينفخ في الصور فإذا نفخ نفخة البعث قام الناس من قبورهم بعد أن تتزلزل الأرض وتتشقق تأمل هذا المشهد الذي يخلع القلوب

قال الله جل وعلا: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (يس: ٥١-٥٣).

هل تدبرت هذا المشهد العجيب؟! الأرض تتزلزل وتتشقق وتلفظ الناس من أحشائهم أحياء يتحركون لأنهم سوف يحاسبون عن كل ما قدموه في حياتهم الماشية

قال ربنا جل جلاله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة). فالبعث إحياء الخلق بعد موتهم كما رد الله بل المكذبين فقال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ (التغابن: ٧). وقال رسول الله ﷺ: «**يبعث كل عبدٍ على ما مات عليه**»(١).

ثانيًا- الحشر

بعد أن يقوم الخلق أحياء من قبورهم يدعوهم الداعي إلى أرض المحشر فيتبعونه وهم ينظرون في اتجاه واحد لا تطرف عيونهم ولا يلتفتون ولا يتكلمون ولا يشكون من

---

(1) رواه مسلم برقم ٢٨٧٨.

الزحام أصواتهم خاشعة وأبصارهم شاخصة كما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ (طه:١٠٨). كيف يخرجون؟ يخرجون وهم حفاة عراة غرلًا قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس إنكم تحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلًا وأول الناس يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام**»[1].

زاد البيهقي: «**ويأتي بي فأكسى حله من الجنة لا يقوم لها البشر**».

وقد سمى الله يوم القيامة بيوم الجمع لأن الله يجمع العباد والخلق كلهم فيه قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ (هود:١٠٣). و قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ

---

(1) رواه مسلم برقم ١١٧٨.

﴿ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف:٤٧). حتى الوحوش ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (التكوير:٥). وكذلك كل الدواب وكل الطيور وكل الكائنات يجتمع كل خلق الله في أرض المحشر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام:٣٨).

قال أبو هريرة رضي الله عنه: «يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والطير والدواب وكل شيء فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول: كوني ترابًا فذلك قوله تعالى حكاية عن الكفار: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ (النبأ:٤٠). والأرض التي يحشر الناس عليها تختلف تمامًا عن هذه الأرض قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ (إبراهيم:٤٨).

وأرض المحشر تكون بيضاء مستوية كالفضة بل تكون كلوح الزجاج ليس فيها مرتفعات أو منخفضات.

قال رسول الله ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلٌ لأحد**»(١).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ (إبراهيم: ٤٨). قال تبدل أرضًا كأنها فضة لم يسفك فيها دم حرام ولم يعمل عليها خطيئة(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين، واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح**

---

(1) رواه البخاري برقم ٦٥٢١، ومسلم برقم ٢٧٩٠.

(2) فتح الباري للحافظ ابن حجر ١١/ ٢٨٣ وقال رجاله الصحيح.

معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث امسو»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف، صنف مشاة، وصنف ركبان، وصنف على وجوههم**»[2].

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ (مريم: ٨٥-٨٦).

فالمتقون أهل كرامة الله يفدون على ربهم راكبين في هيئة كريمة، أما المجرمون فيحشرون مشاة على أقدامهم وهم عطاش مهانون في غاية الذل والكرب والغم والأحزان والآلام. وقد سئل الرسول ﷺ: أين يكون الناس عندما تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال ﷺ: «**هم في الظلمة دون**

---

(1) رواه البخاري برقم ٦٥٢٢.

(2) رواه الترمذي ٣١٤١ وصححه الألباني في «المشكاة» ٥٥٤٦.

الجسر»[1]. والمراد بالجسر: الصراط

كما رواه مسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾ فاين يكون الناس يا رسول الله؟ فقال: «**على الصراط**»[2].

ثالثًا- الوقوف بين يدي الله

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (المطففين: ٤-٦).

في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (المطففين: ٦). «**يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه**»[3]. أي يغيب أحدهم في عرقه حتى يصل العرق

---

(1) رواه مسلم برقم٣١٥.

(2) رواه مسلم برقم ٢٧٩١.

(3) رواه البخاري برقم ٦٥٣١، ومسلم برقم ٢٨٦٢.

إلى الآذان فياله من موقف عظيم شديد خطير..رعيب!

قال رسول الله ﷺ: «**يعرق الناس يوم القيامة حتي يغيب عرقهم في الأرض سبعين ذرعًا ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم**»(١). إنها حرارة تصهر الأجساد وتذيب الحجارة والحديد، وتأمل كيف يجتمع الخلق كل الخلق في أرض واحدة وزحام شديد وبينما هم في هذا الكرب العظيم إذ بداهية تقرع الآذان وتلق القلوب يجاء بجهنم وهي تزفر غضبًا لغضب الجبار جل جلاله. قال رسول الله ﷺ: «**يؤتي بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»(٢). عند ذلك تجثوا الأمم على الركب من شدة الخوف والفزع كما قال الله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجاثية:٢٨).

---

(1) متفق عليه وقد سبق تخريجه.

(2) رواه مسلم ٢٨٤٢.

ويطول ذلك الموقف جدًا حتى تكون الشفاعة ولن تتحرك قدماك من مكانها حتى تحاسب عن خمس كما قال رسول الله ﷺ: «**لا تزولا قدما ابن آدم يوم القيامة عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه،وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم**»(١).

رابعًا- الشفاعة

عندما يشتد الكرب ويبلغ الناس من الغم مالا يطيقون يقول بعضهم لبعض: «ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم. فيأتونه فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من

---

(1) رواه الترمذي عن ابن مسعود وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم٧٢٩٩.

obeikandl.com

روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تشفع منا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي نفسي اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدًا شكورًا، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ألا تشفع لنا عند ربك؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله، نفسي، نفسي اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقولون أنت بني الله وخليله إلى أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك؟ أما ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله وإن كنت كذبت ثلاث كذبات فذكروها نفسي نفسي فيدلهم على موسى ويقول موسى

مثل ما قال ويدلهم موسى على عيسى ويدلهم عيسى على محمد ﷺ. فيأتون محمدًا فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ قال: «**فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجدًا لربي ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحدٍ قبلي، ثم يقال يا محمد أرفع رأسك، سل تعطى، واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول: أمتي يارب! أمتي يارب! أمتي يا رب فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب**»[1].

---

(1) رواه البخاري برقم ٤٧١٢، ومسلم برقم ١٩٤.

خامسًا- مجيء الرب تعالى وسؤال الرسل

مازال أهل الموقف في أرض المحشر قيامًا لله رب العالمين وحالهم على نفس الحل من الكرب شاخصة أبصارهم قد انخلعت القلوب من أماكنها من شدة الخوف. وما زال أهل الموقف يتطلعون ينظرون متى يأتي الرب عز وجل لفصل القضاء. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ (الفجر:٢١-٢٢).

وقال تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (الزمر:٦٩).

وليسأل الله الرسل ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ (المائدة:١٠٩)، ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (الأعراف:٦).

سادسًا- تطاير الصحف

بعد سؤال الرسل تتطاير الصحف ويتقدم الناس للعرض على الله عز وجل فمن أوتي كتابه بيمينه فقد سعد

سعادة لا شقاء بعدها ومن أوتي كتابه بشماله أو من وراء ظهره فقد شقي شقاء عظيمًا لا سعادة له بعدها

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ (الحاقة: ١٨-٢٩).

مثل وقوفك يوم العرض عريانًا مستوحشًا قلق الأحشاء حيرانًا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق على العصاة ورب العرش غضبانًا
اقرأ كتابك يا عبدي على مهلٍ فهل ترى فيه حرفًا غير ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قرارته إقرأ من عرف الأشياء عرفان
نادى الجليل خذوه يا ملائكتي امضوا بعبد عصى للنار عطشانًا
المشركون غدًا في النار يلتهبوا والمؤمنون بدار الخلد سكانًا

سابعًا- الحساب

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ٤٩).

وقال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة**»(١).

فتوهم نفسك يا عبد الله وقد نوديت باسمك على رءوس الخلائق أين فلان بن فلان؟ هلم إلى العرض على الله، وقد وكلت الملائكة بأخذك فقربتك إلى الله فإذا عرفت أنك المراد المطلوب ارتعدت عند ذلك فرائصك

---

(1) رواه البخاري برقم ٧٥١٢، ومسلم برقم ١٠١٦.

واضطربت جوارحك وتغيَّر لونك وطار قلبك فتوهم نفسك وأنت بين ملكين أحدهما معه صحيفة أعمالك والآخرة يسوقك من ورائك كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (ق:٢١). فما ظنك يا ابن آدم في هذه الساعة وقد وقفت بين يدي ربك الذي لا يقص عليه شيء من عملك كيف يكون حالك؟ وكيف تجيب ربك؟ الله الملك الحق، ملك الكون، خالق الخلق، ورب العالمين هو الذي يسألك فكيف تجيب؟! وكيف بتثبت قدمك في ذلك الموقف؟! يا له من مشهد مروِّع عجيب!! إذا سئلت سوف تجيب جوارحك التي باشرت العصيان فتنطق اليد بما كسبت من حرام وتنطق الأرجل والسمع والبصر الكل يشهد بما عمل وينطق به

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

(فُصِّلَتْ :٢٠-٢١)

وأول ما يحاسب عليه العبد يوم الْقِيَامَةِ الصلاة فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيء قال الرب تبارك وتعالى: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فيكمل بها ما انتفص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك**»[1].

ويقتص الله للمظلوم من الظالم في هذا المشهد العجيب وأول ما يقضى فيه الدماء حتى يقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**من كانت عنده لأخيه مظلمة من عرضه أو شيء**

---

(1) رواه الترمذي٤١١ وصححه الألباني في «صحيح الجامع رقم ٢٥٦٨.

فليتحلله اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «**من ضرب بوط ظلمًا اقتص منه يوم القيامة**»[2].

ومتى يقتص للمؤمنين بعضهم من بعض؟ قال رسول الله ﷺ: «**إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاضون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نُقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفسي محمدٍ بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أول بمنزله كان في الدنيا**»[3].

---

(1) رواه البخاري ٢٤٤٩.

(2) رواه البخاري في «الأدب» المفرد وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم ٦٢٥٠.

(3) رواه البخاري برقم ٢٤٤٠.

ثامنًا- الميزان

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء:٤٧).

وهو ميزان حقيقي لا يقدر أحدًا بقدره قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: قال ابو إسحاق الزجاج: أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان وأن أعمال العباد توزن به يوم القيامة وأن الميزان له كفتان ولسان ويميل بالأعمال(١). قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السماوات والأرض لو وسعت، فتقول الملائكة: يارب، لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: سبحان ما عبدناك حق**

(١) فتح الباري ١٣/ ٥٣٨.

عبادتك»[1].

من رجحت حسناته فقد فاز بالنعيم المقيم ومن خفت موازينه فأولئك هم الخاسرون قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠١-١٠٣).

والذي يوزن في الميزان هو العامل وعمله وصحيفة عمله فالأعمال توزن فتجسم أعمال العباد وتوضع في الميزان ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧-٨). وقال رسول الله ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله**

---

(1) رواه الحاكم عن سلمان وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم ٩٤١.

العظيم»[1].

وكذلك توزن صحائف الأعمال قال رسول الله ﷺ: **«إن الله عَزَّ وَجَلَّ يستخلص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلًا كل سجل مدَّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا، أظلمك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يارب. قال: ألك عذر أو حسنة؟ قال: فيهاب الرجل فيقول ألا يارب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ فيقول: أحضروه فيقول: يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء»**[2].

---

(1) رواه البخاري برقم ٦٤٠٦، ومسلم برقم ٢٦٩٤.

(2) رواه الترمذي ٢/ ١٠٦، وابن ماجه ٤٣٠٠، وأحمد ٢/ ٢١٣

وكذلك يوزن ثواب العمل قال رسول الله ﷺ: «**يؤتي بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهم بعد قال: كأنهما غمامتان أو كلتان سوداوان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما**»[1]. قال الترمذي: معنى هذا أنه يجيء ثواب قراءته.

وكذلك يوزن العامل نفسه ودليل ذلك ما رواه البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: إنه ليأتي الرجل العظيم السمين فلا يزيد عند الله جناح بعوضة. وقال: اقرؤوا عن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ (الكهف: ١٠٥)[2]. ولن تتحرك من مكانك يوم القيامة حتى

وصححه الألباني في الصحيحة» ١٣٥.

(1) رواه مسلم برقم والترمذي عن النواس بن سمعان رضي الله عنه.

(2) رواه البخاري ٤٧٢٩ ومسلم رقم ٢١٤٧.

تحايب وتسأل بين يدي ربك جل جلاله الذي يعلم السر وأخفى فعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تزول قدما عبدٍ حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه**»[1].

أبت نفسي تنوب فما احتيالي إذا برز العباد لذي الجلال
وقاموا من قبورهم سكارى بأوزارٍ كأمثال الجبال
وقد نصب من يسير لدار تلقاه العرائس بالغوالي
يقول المهيمن يا ولي غفرتُ لك الذنوب فلا تبالي

فيا عبد الله، استحضر شدة وجلك وفزعك عندما توزن أعمالك فلست تدري أتخف أو تثقل؟ لذلك أقول لك من اليوم تزود بالأعمال الصالحات التي تثقل ميزانك وتكون سببًا في سعادتك يوم تلقى ربك جل جلاله.

لا تضيع عمرك في القيل والقال، لا تضيع شبابك في

---

(1) رواه الترمذي ٢٤١٧. وحسنه الألباني في «الصحيحة» برقم ٩٤٦.

الشهوات والغفلة عن الله، أفق فأمامك يوم ثقيل يوم عظيم سوف تنسى عنده كل لذة وكل شهوة وتتمنى أن ترجح إلى الدنيا لكي تصلي ولو ركعة! فهيا ما يمنعك أن تعمل، أرفع عن نفسك قيود الشيطان واعتصم بالله يعصمك وتوكل عليه يكفك ويوفقك. وتأمل في هذا الخطر العظيم فلن ينفعك ساعتها إلا عمل صالح فاتق الله في نفسك ولا تعرضها لعذاب الله.

«اللهم ثقل موزيننا بالأعمال الصالحات وأغفر لنا السيئات وارفع لنا الدرجات يا أرحم الراحمين ويا ودود يا كريم».

تاسعًا- الصراط

والصراط جسر أدق من الشعر وأحد من السيف يضرب الله عَزَّ وَجَلَّ على ظهر جهنم ليمر عليه المؤمنون إلى جنات النعيم والمشركون إلى العذاب المقيم فهو قنطرة بين الجنة والنار. ولابد أن يمر عليه كل الناس قال الله جل جلالة: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (مريم: ٧١-٧٢).

فتوهم نفسك يا أخي إذا صرت على الصراط وإذا هي أدق من الشعر فلا تكاد تراها لتسير عليها ثم هي أحد من السيف تمزق قدمك وتجرح رجليك ومن تحتها نار جهنم سوداء مظلمة قد اشتد حرها وعلا لهيبها فكيف تعبر هذا الصراط إلا برحمة من الله جل جلاله؟!

قال رسول الله ﷺ: «**ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة. ويقولون:** «اللهم سَلِّم سَلِّم قيل يا رسول، وما الجسر؟» قال: «**لحض مذلة فيه خطاطيف**

وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال له السحدان، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلَّم ومخدوش مُرسل، ومكدوس في نار جهنم»[1].

وقال ﷺ: «**ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم. وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان. هل رأيتم السعدان؟**» قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «**فإنها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم**»[2].

ومن كرامة الله للمتقين أنهم يمرون على الصراط وقد انبعث النورمن أجسادهم أما المنافقون والكافرون فهم

---

(1) رواه مسلم برقم ١٨٣، ورواه البخاري برقم ٧٤٣٩.

(2) رواه البخاري برقم ٧٤٣٧، ومسلم برقم ١٨٢.

في الظلمات يتخبطون قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الحديد:١٢). قال: على قدر أعمالهم يمرون على الصراط. منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم وأدناهم نورًا في إبهامه ينقد مرة ويطفأ مرة[1].

وقال الضحاك: ليس أحدٌ إلا يعطى نورًا يوم القيامة فإذا انتهوا إلى الصراط طفئ نور المنافقين فلما رأ ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طفئ نور المنافقين فقالوا: ربنا أتمم لنا نورنا.

هذا هو الصراط وأنت لابد وارد ولكنك لست تدري أتكون من الناجين أم من الهالكين. فاحذر أخي طرق الضلالة فهي التي تجرك إلى الهلاك والسقوط في نار الجحيم عياذًا بالله لي ولك من ذلك.

---

(1) رواه ابن جرير والحاكم وصححه الألباني في تخريج الطحاوية (ص:٤٧٠).

إذا مُسد الصراط على جحيم تصول على العصاة وتستطيلُ
فقدم في الجحيم لهم ثبورٌ وقوم في الجنات لهم مقيلُ
وبان الحق ونكشف المغطى وطال الويل واتصل العويلُ

فيا أخي الحبيب، سر على صراط الله المستقيم مستقيمًا تأمن الزلل، ويكن الله معك يحفظك ويسددك ويرحمك ويلطف بك. واعلم انه على حسب سيرك على الدين في الدنيا يكون سيرك على الصراط في الآخرة.

** لنفسك ما سوف تعانيه غدًا، واحذر أن تكون من التائهين الغافلين. احذر من التلون والتخبط، وخذ الحق بقوة، واستمسك بالكتاب والسنة وأعمر عمرك بطاعة ربك، وأملأ حياتك بالإيمان والتقوى، وكن لله كما يريد يكن لك مثلما تريدُ.

وبالمرور على الصراط ينقسم الخلق إلى فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير[1]، ففي أين الطائفيين سوف

(1) لقد فصل العلماء الحديث عن الجنة والنار فانظر «حادي الأرواح

نكون، وإلى أي الفريقين سوف يكون منصرفنا، اللهم ألهمنا حجتنا وسدد على الحق قلوبنا وألستنا واحجلنا من أهل من أهل النعيم المقيم يا ذا الفضل العظيم.

obeikandl.com

لابن القيم» و«التخويف من النار» للحافظ ابن رجب وغيرهما من الكتب القديمة والحديثة

موعظة الختام

إخواني الأيام تمضي علينا شئنا أم أبينا وكلما مضى يوم من عمرنا قربنا من لقاء ربنا فماذا أعددنا لذلك اليوم؟! وما الذي قدمناه لنفتدي به نفوسنا من عذاب الله يوم نلقاه؟! حق على من علم أن يوم القيامة بين يديه، وتيقن أن عمله يخص عليه أن يحسن عمله ليلقى به ربه.

فانتبه من رقدة الغفلة فالعمر قليل
واطرح سوف وحتى فهما داءٌ دخيل

يا حاملًا من الدنيا أوزارًا ثقالًا، يا مطمئنا إليها سوف تنتقل انتقالا، يا مرسلًا عنان لهوه في ميدان زهوه إرسالًا، كأنك بجفنيك حين عرض عليك كتابك قد سالا.

أين المعترف بما جناه؟! أين المعتذر إلى مولاه؟! أين التائب إلى ربه من خطاياه؟! أين من يلهج في الأسعار بتضرعه وشكواه إلى الله؟!

أي أخي، كتاب عملك يوم القيامة سوف يحوي حتى

النظرة، وسوف يحاسبك ربك حتى على الذرة، وسوف تكون عواقب المعاصي يومئذ مرة، وتتردد في قلبك الحسرات حسرة بعد حسرة فهيا من الآن تُبْ من ذنوبك، واندم على عيوبك، وامح بدموع التوبة قبيح مكتوبك، وقف بين يدي ربك وقوف المنكرين، وتبتل إليه تبتل الخاشعين الخاضعين، واستشعر الذل والخضوع وأستجلب الدموع، وتب إلى ربك يقبلك واستعن به يعنك، واستهد يهدك فربك أرحم بك من نفسك وأرأف بك من أمك إذا رجعت إليه قبلك وأحبك فهيا سارع بالتوبة فالأمر خطير، والخطب عظيم، فلن ينفعك مالك، لن ينفعك أولادك، لن ينفعك أرحامك، لن ينفعك أصدقائك، لن ينفعك إلا عمل صالحٌ تلق به ربك فبأي الوجوه تريد أن تلقاه؟! وبأي القلوب تريد أن تقدم عليه؟! وبأي الأعمال سوف تقف يوم القيامة بين يديه؟! تخفف من السيئات وثقل ميزانك بالحسنات، وطهر

قلبك بالذكر والعظات وتلاوة الآيات لعل ربنا يرحمنا، وعساه يغفر لنا إنه رحيم ودود، كريم تواب.

فالهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك، واجعلنا في ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك، واجعلنا أسعد الخلق في الدنيا بطاعتك وفي الآخرة بلقائك ورؤيتك ولك الحمد ربي كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك والحمد لله رب العالمين وصل الله على عبده ورسوله محمد ﷺ.

كتبه

الفقير إلى عفو ربه التائب إليه من ذنبه

سيد عطوة

يوم الخميس ٣/ ٧/ ٢٠٠٨م

٢٩ من جمادي الأخر سنـ١٤٢٩ـة هـ

obeikandl.com